مُقارباتٌ تَداوُليَّةٌ في قصيدة (الموت لا يستحي) لنجاح العرسان

راسم أحمد عبيس مهدي عبد الأمير مفتن
جامعة بابل / كلية التربية الاساسية جامعة بابل/كلية الدراسات القرآنية
rasemahmed@yahoo.com

الملخص

التداولية من الاتجاهات التي ظهرت في مرحلة ما بعد البنيوية، وهي عبارة عن مجموعة من النظريات التي تنظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً يُمارَس ضمن سياق متعدد الأبعاد، فالسياق الذي يُنتَج فيه النص له أثرٌ كبير في فتح النص على دلالات متعددة يحتملها في تحديد معناه.

واللغة من وجهة نظر التداوليين ليست لنقل الأفكار والمعاني فقد، بل من أجل التأثير في المتلق وإنجاز الأفعال أيضاً ضمن سياق محدد، ومن هنا ظهرت نظرية أفعال الكلام.

في هذا البحث نحاول تطبيق نظريات التداولية على قصيدة (الموت لا يستحي) لشاعرٍ كربلائي معاصر، هو الشاعر نجاح العرسان، هذه القصيدة التي جاءت ضمن المجموعة الشعرية المسماة: (فرصة للثلج)، وسنحاول استثمار نظريات التداولية في مقاربة النص والكشف عمّا يقوله النص، وما يحاول التأثير به في المتلقي، وما ينجزه من أفعال ضمن السياق الذي ورد فيه.

الكلمات المفتاحية:التداولية، الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة، التواصل، السياق التداولي.

Abstract

Pragmaticism of the trend that have emerged in the post-structuralize theories, it is asset of theories which sees language as an activity practiced within the context of multi-dimensional the context in which the text produces the greatest impact in the open text on a multi-semantics endured in determining its meaning.

The language from the viewpoint of pragmaticism not only for the transfer of meanings, but to influence the recipient and the completion of actions within a specific context. Hence, actions speak theory emerged.

In the paper, we try to apply the deliberative theories poem on the death of the poet is not ashamed karbalai, we are trying to invest theories and sayings deliberative approach in the text and reread what the text and trying to accomplish and what the effect of the actions of the specific context within which was stated saying.

Key words: deliberative, direct and indirect verbs verbs, communication, deliberative context.

التداولية

تعدّدت تعريفات التداولية، ويعود هذا التنوع إلى طبيعة الباحثين ومجال اشتغالهم والاختلاف الحاصل في فهمها والمنطلقات والآليات التي تعمل عليها[١]، ومن أشهر هذه التعريفات والأساس الذي قامت عليه التعريفات اللاحقة هو تعريف (شارلز موريس) الذي يرى أن التداولية هي علاقة العلامات بمفسريها، أي دراسة العلاقة بين المتكلم واللغة التي يستعملها، وقد جعلها جزءا من السيميائية[٢]، وهذا التحديد يوسّع من مجال التداولية، ليشمل العلاقات اللغويّة وغير اللغويّة[٣].

ويمكن أن تُعرّف التداولية بأنها فرعٌ من اللسانيات أو أنها تيار يهتم بدراسة الخطاب بصفة عامة، تهدف إلى التأثير على المشاركين في الحديث؛ من أجل تحقيق التواصل في إنجاح العملية التبليغية، كما يمكن أن تُعرّف بأنها دراسة اللغة أثناء استعمالها والاهتمام بالمعنى وربطه بالسياق الذي ورد فيه(٤).

وتطلق التسمية على احد الاتجاهات التي ظهرت في مرحلة ما بعد البنيوية كردة فعل لكثرة التنظيرات التي ازدهرت في تلك المرحلة(٥) .

وقد تُرجم مصطلح pragmaticism بعلم الرموز وجُعِلَ مرادفًا للسيميائيات، وهو يعالج الأمور اللغوية وغير اللغوية ، وقد ترجم بـــ (الذرائعيات) أو الذرائعية الجديدة (٦) .

ركّزت التداولية على ما أهملته اللسانيات، فمن المعلوم أنَّ اللسانيات ركزت على علمي التركيب والمعاني، في حين ركزت التداولية على الجانب الاتصالي، أي علاقة الاشارة بمَنْ يستخدمها. وقد استبعدت اللسانيات الأدب التداوليّ؛ لأنَّه لا يخضع إلى المنهجية الصارمة التي وضعتها اللّسانيات، لكن ردود الفعل توالت ضد هذا الاستبعاد، لان اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استعمالها وتنحصر في علمي النحو والمعاني؛ بل إنَّ الاتصال يؤدي دورًا فاعلاً إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة(٧).

فالجملة الواحدة يمكن أنْ تعبّر عن معانٍ مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق. ومن هنا جاءت عبارة (التداولية سلة مهملات الدلالة)(٨) ، لان التداولية تربط الجمل بسياقها(٩) وتبين معنى ما استعصى فهمه على الدلالة وعلى النحو(١٠) .

إن التداول يشتمل على ثلاثة عناصر هي: عنصر ذاتي، يتمثل في التعبير عن معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته، وعنصر موضوعي، يتمثل في الوقائع الخارجية ومن ضمنها الظروف الزمانية والمكانية، وعنصر ذواتي، يدل على المعرفة المشتركة بين المتخاطبين(١١)، فمثلاً حين يقول شخصٌ: أنا عطشان، فقد يعني أُريد كوبَ ماءٍ، وليس من اللزوم أن يكون إخبارًا بأنّه عطشان، فالمتكلم كثيرًا ما يعني أكثر مما تقوله كلماتُهُ، فالتداوليّة تبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم(١٢).

نظرية افعال الكلام

تعد نظرية الافعال الكلاميَّة أحد أهم الأُسس التي قامت عليها اللسانيات التداولية في منظومة البحث اللغوي المعاصر، وذلك بعدّها المجسِّد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، إذ تُعنى بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير وكل ذلك بغرض انجاح العملية التواصلية بين المتحدثين، ويرى مؤسس هذه النظرية الفيلسوف (جون أوستن) أنَّ الوظيفة الأساسية للغة غير كامنة أساسًا في إيصال المعلومات والتعبير عن كوامن النفس، بقدر ما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال إلى أفعال إذا صدرت ضمن مقام يَسمحُ بذلك، فإننا حينما نتلفظ بالأقوال نكون قد أنجزنا في الوقت نفسه فعلاً اجتماعيًّا (الفعل الكلاميّ)، وهذا ما فطن إلية (فان دايك) فيما بعد مترسّمًا للتداوليّة مختصًّا ((بتحليل الافعال الكلامية))(١٣)، فالأفعال الكلاميّة المفتاح الأمثل لتعريف التداوليّة عنده.

فالتداولية ترى أنَّ اللغة ليست لتمثيل العالم فقط، بل انها تُستعمل من أجل انجاز أفعال معينة ويصبح الكلام تبعا لذلك هو أن تقوم بفعل ما ليس أن نتكلّم طبعًا، بل أكبر ممّا نقوم بهذه العملية، ولا يتمّ هذا الفعل إلّا في سياق

محدد، ويتمثّل بما يحقّقه القائل بقوله من نتائج وما يُنجز عنه من تبعات كإزعاج المخاطب أو تخويفه أو اقناعه أو حمله على سلوك معين أو صرفه عنه[١٤] .

فالفعل الكلامي هو إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به، وذلك من أجل صناعة مواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات، ومن ثمَّ التأثير في المتلقي من طريق حمله على فعلٍ ما أو تركه أو تقرير حكمٍ من الاحكام أو تقديم وعدٍ ... ألخ[١٥].

ففي قول الولد لأبيه: (لا أشعر بالنعاس) ينجز ثلاثة أفعال، هي : الفعل القولي عندما ينطق بالجملة، والفعل المتضمّن بالقول وهو: الإخبار بعدم الرغبة بالنوم، والفعل التأثيري: وهو إقناع والده بمنحه وقتًا أطول في السهر. وهذا الفعل الثالث (التأثيري) لا يتحقق في الجمل كلِّها، ولكن الجمل كلها تحوي على الأقل فعلين، هما: القولي والإنجازي، وبعض الجمل تحوي فضلاً عن ذلك الفعل التأثيري[١٦] .

الأفعال الإنجازيّة المباشرة والأفعال الإنجازيّة غير المباشرة

الأفعال الإنجازية المباشرة هي الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية المعنى الحرفي الذي يقصده المتكلم، والافعال الإنجازية غير المباشرة هي الافعال التي تخالف فيها قوتها الإنجازية قصد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحوٍ غير مباشر من خلال فعلٍ إنجازيٍّ آخر.

فحينما يكون الأمر بسيطًا يتلفظ المتكلّم بجملة ليقصد الدلالة بالضبط على ما يقوله حرفيا، أما حين يتعقد الأمر، فإن معنى الجملة يختلف عن ما تدل عليه كلماتها، وهذا يتوقف على السياق الذي تقال فيه، وهكذا تدخل الجملة في عالم آخر[١٧] .

فالتأويل لا يعتمد على المعلومات التي تحتويها الصيغة فقط؛ بل على امور اخرى خارج الجملة، ومثال على ذلك قولك لشخصٍ ما سرق أباه: أتسرق أباك؟! فالجملة لها قوتان إنجازيتان تواكبان المحتوى القضوي نفسه، إذ تنجز فعل السؤال المدلول عليه حرفيًا بقرائنَ موجودة مثل أداة الاستفهام (الهمزة)، وعلامة السؤال (؟)، غير أنّ الجملة في المقام السياقي لا يُقصد بها إنجاز فعل السؤال، إنّما أُريد بها إنجاز فعل الاستنكار الذي يشكل لنا فعلاً كلاميًا غير مباشر. فالجملة تنجز فعلين كلاميين، أحدهما مباشر نستدل عليه من المعنى الحرفي للملفوظ، وآخر غير مباشر يُفهم من سياق الكلام، وننتقل من أولهما إلى الثاني عبر سلسلة من الاستدلالات، كما يرى (سيرل)[١٨]

ومثال آخر على ذلك المثال المشهور (هل يمكنك ان تناولني الملح؟) فظاهر العبارة الاستفهام، ولكن دلالتها لا تشير البتة إلى الاستفهام وإنّما تشير إلى الطلب[١٩] .

ميَّزَ التداوليون بين ثلاثة انواع من الملفوظات: المعنى الحقيقي، والاستعارة، وفعل الكلام غير المباشر، وخلصوا إلى نتيجة مفادها: إنَّ المعنى الحقيقي ينتصب وجوده بين الملفوظ والمعنى الذي يقصده المتكلم ويفهمه السامع، وهو ما يتحقّق ضمن سمات سياقية محددة، أما الاستعارة فعلى العكس من ذلك فهي تجبر المتلقّي على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلّم، أما الفعل الكلامي غير المباشر، فهو فعل إنشائي ثانوي (إنك تدوس قدمي) هو فعل ثانوي للطلب من شخص الكفُّ عن دوس القدم، أو فعل أولي لتأكيد دوس القدم[٢٠].

وخلاصة القول: إنَّ القائل ((متى أراد بالضبط وبصفة حرفية ما قاله كان العمل اللغوي المتحقّق مباشرًا [و] إذا أراد خلاف ما يُفهم من ظاهر اللفظ وبلغ أكثر ممّا قال وسمع كان العمل اللغوي المتحقّق غيرَ مباشر))[٢١] وعليه ((يستطيع المتكلم أن يبلّغ المخاطَب أكثر ممّا يقوله بالفعل استنادًا إلى مقدرات المخاطب))[٢٢] ، فتحليل الكلام وفهمه ((يعتمد على خلفية إخبار متبادل ومتقاسم وإخبار لساني وغير لساني وعلى قدرة استدلال عقلي للمستمع)) [٢٣].

التداولية والأدب

الأدب فعل كلامي أو حادثة نصية يبعث على ضروب محددة من العناية، ويغاير الأنواع الأخرى من افعال الكلام كنقل المعلومات وطرح الأسئلة والبرّ في الوعود[٢٤].

وهو ضرب خاص من اللغة وطريقة خاصة في استعمال العلامات، وتصبح العلاقة فيه لدى استعمالها وظيفة شعرية بالمفهوم الياكوبسني، موضوعًا بحدّ ذاتها، موضوعا لا يميل إلى غيرها، وربّما هذا ما دفع (أوستن) إلى النفور من النص الأدبي وإقصائه من دائرة اهتمامه[٢٥]. ولكن النص الأدبي يبقى نصًّا خصبًا فيه دلالات كثيرة وينفتح على سياقات اجتماعية ونفسية متعددة، ويمكن أن نجد فيه قراءات متعددة، فالنص الأدبي حمّال أوجه، وهذا الأمر مردّه إلى أنَّ ((مسألة تعددية التفسير قد لا تنحصر في غموض النص الشعري، بل إنّها قد تأتي – أحيانًا– من فرض اللغة الشعرية لمنطقها الخاص على اللغة، وهو ما يجعل دلالة بعض الجمل والمفردات غير مستقرة دلاليًّا تمامًا، وذلك بالنظر إلى طبيعة التوجه القرائي في تفسير النص، إذ قد تعتمد القراءة المعنى المعجمي غير ما هو معطىً في المعجم اللغوي))[٢٦] .

إن قدرة اللغة الشعرية الإيحائية لا تحدّ من قدرتها على تحميل الألفاظ بمدلولات جديدة، بل انها تعمل من خلال العلامات التي تقيمها بين الكلمات ثم العلاقات النصية المتشاكلة بين الجمل على خلق توتر دلاليّ يحول دون أُحادية التفسير، إن لم يكن استحالته، ومن هنا يقول د. محمد مفتاح في وصف الشعر بأنّه ((أكثر تداولية من اللغة العادية، وله قوانين خاصة إلى جانب القوانين العامة للغة الطبيعية؛ لأنّه لغة فرعية منها))[٢٧]، ومن هنا لم يُمنع منظرو التداولية اللاحقون من التعامل مع الاشكال الأدبية في إطار غاياتها التواصلية والتي فيها مجالاً خصبًا لتوسيع آفاق التداولية.

يُعد الأدب نصًّا لغويًا غيرَ مباشر،لا تنحصر دلالته بما هو مذكور في النص، بل ترتكز دلالته على مواصفات مضمرة خاصة وعلى عقد واقع بين الكاتب والقارئ[٢٨]، وفي اطار التداولية ينبغي للتحليل الأدبي أن يُعنى بالعناصر الاشارية والروابط وحالات التبادل السُّنَنِيّ والتصرّفات في الإحالة الداخلية والخارجية والمشترك الدلالي، وفي الاتجاه نفسه يخلص (فان دايك) إلى لزوم دراسة متوالية أفعال الكـــــــلام والسيـــــاق وعلاقتهما ببنية الخطاب[٢٩].

قصيدة (الموت لا يستحي) للشاعر نجاح العرسان* تداولياً

العنوان (الموت لا يستحي) فيه قول مضمر وهو: أنَّ الشاعر لا يحترم الموت؛ لأنَّ الذي لا يستحي لا يستحق الاحترام، وقوله: (إلى أبي الذي يستحي) فيه قول مضمر أيضا وهو أنَّ الشاعر يحترم أباه؛ لأنَّ الذي يستحي يستحق الاحترام، هذا من جانب ومن جانب آخر، هناك قولٌ مضمرٌ آخر وهو: أن الموت جريءٌ وواثقٌ

وعازم، لا يعرف الاستحياء والتردد، وقوله: (الموت لا يستحي) يتضمن افتراضًا مسبقًا أنّ الموت لا يستحي من والد الشاعر فقبضه، و(إلى أبي الذي يستحي) يتضمن افتراضًا مسبقًا أنّ والده يستحي من الموت فاستسلم له.

فالشاعر متحامل على الموت؛ لأنَّه لا يعرف الخجل (لا يستحي) ولا يلتزم بأي عُرف أو خُلق أو مبدأ، فهو يقبض الذكر والأنثى والصغير والكبير والفقير والغني بلا استثناء، ويوحي العنوان بفعل قول مضمر آخر وهو ان أباه كان لا يستحق الموت – بحسب رأي الشاعر – لأنَّه ليس كبيراً جداً ومن ثَمَّ اصبح الموت لا يستحي وعلى خلاف أخلاق الموت كانت اخلاق ابيه فهو يستحي وصاحب أخلاق.

تبدأ القصيدة بفعل انجازي وهو الوعد (سنبكي)، فالبنية التداولية واضحة، فالشاعر هو المتكلم، وهو ينجز فعل الوعد بالبكاء، وهذا الوعدُ موجَّهٌ إلى مخاطبٍ في سياقٍ معينٍ ، فالمخاطَب: (والد الشاعر أو القارئ) والسياق: ابن يرثي اباه.

فالشاعر ينوي انجاز فعل البكاء وهو فعل مستقبلي بدلالة (حرف السين) وهذا يستلزم اعتقاد الشاعر بإمكانية انجاز فعل البكاء ومثل ذلك في قوله(نحيا).

وقد علَّل الشاعر الغاية من البكاء والحياة بالموت، وهذا خرق لمبدأ التعاون[٣٠]، فلو سأل سائل لماذا البكاء ولماذا الحياة؟ سيكون الجواب ملائمًا للسؤال، والمجيب متعاوناً مع السائل، إلا انه في قوله (نموت) خرق الشاعر هذا المبدأ وبدا غير متعاون وكان الجواب غير ملائم، ولكن بوساطة الاستدلال المنطقي وباستحضار خلفياتنا المعرفية ومعتقداتنا الدينية نحاول ان نعيد المواءمة بين الجواب والسؤال، وهو ان الانسان لابد ان يموت وهذه سنة الحياة. ولكن لماذا؟ فيفيد الشاعر انجاز الوعد ثانية بالسؤال عن فلسفة الحياة، لماذا خلقنا ولماذا نموت؟ بقوله: (ونسأل). والوعد الذي يقدمه الشاعر وان كان في المستقبل بدلالة حرف السين (سنبكي ونحيا ونسأل) إلّا أنَّه من خلال السياق ومن خلال ما تقدم يمكن أن نفهم أنَّ الزمن ليس المستقبل فقط، وإنَّما هو الماضي والحاضر أيضاً، ولا يختص في المستقبل فقط، فهو يعبر عن دورة الانسان في الطبيعة، وهذه الدورة في الماضي والحاضر والمستقبل. وفاعل (سنبكي) هو الضمير المستتر (نحن) الذي يشمل البشر جميعهم بما فيهم المتكلم والسامع والآخرين، فمرجعية الضمير تكون مرجعية مقامية خارجية نُفهم من السياق.

بعد السؤال عن فلسفة الموت (ونسأل) يقدم الشاعر حزمة من المعلومات:

وسوف يرانا الدرب وهما
ونقبل
ويعبث فينا
– كالسنابل –
حاصدٌ
فيشقى بنا كفٌ
ليرتاح منجلٌ[٣١]

هذه المعلومات هي اجابة لسؤاله عن فلسفة الموت، ويحاول الشاعر ان يقنع المخاطب والمتلقي بحجة قوية وهي اننا كالسنابل يعبث فيها حاصد مرة بكفه واخرى بالمنجل وهذه المعلومات التي يقدمها الشاعر تقتضي سلفا ان الناس ومنهم الشاعر قد صاروا اشياءً كالسنابل لا حول لهم ولا قوة، تعبث بهم يد حاصد.

لماذا ابتدأنا

والنهاية شمعةٌ

وخيط سنين

دمعه يتوسلُ(٣٢)

يبدأ البيت بالسؤال ولا سؤال هنا، وانما هو نتيجة، أي هو لا يريد جواباً وإنَّما هو يقدم معلومات للآخرين، وهو هنا يقتُل قدرات المتلقي؛ لأنَّه لم يمنحه فرصةً للتأويل والقراءة المستنبطة من النّص، أي أنَّه لم يجعل المتلقي مشاركاً في إنتاج المعنى، بل أعطى لنصّه جواباً نهائيّاً بوصفه لنهاية الإنسان بأنَّها شمعة. فهذا البيت لا يمكن فهمه من دون سياقه الذي جاء فيه، ويقدم معلومة أخرى هي: أنَّ هذه الحياة ضياعٌ والوصول إلى النهاية السعيدة الدائمة وهمٌ ولا بدَّ من الموت والبكاء والبلل، يقول :

ضياعٌ

وهذا الدرب

لا أين ينتهي

بكل افتراءات الوصول

مبلّلُ(٣٣)

الشاعر يمر بحالة نفسية صعبة جدًا، وهو متشائم ولا يجد لذة في الحياة، وهذه فلسفته في الحياة والموت، والحياة في نظره حزن وبكاء، ودورة ينتقل فيها الانسان من حالة إلى اخرى من دون أيِّ متعةٍ أو فائدةٍ، ويمكن أن نفهم أنَّ الشاعر قد مرّت عليه احزان كثيرة، وصدمات من موت أبيه ومن قبله موت أخيه يعقوب(٣٤) كما مثبت في القصيدة الثانية (إلى أخي يعقوب الذي أكلته الحرب)(٣٥).

قوله (لا أين ينتهي) هنا جواب عن سؤال مضمر يعرف من السياق، وهو عندما قال: (وهذا الدرب) افترض أن المتلقي قال: إنَّ هذا الدرب ينتهي وإنَّ الضياع ليس مستمراً وإنَّ له نهايةً، فأجابه الشاعر بقوله: (لا) ، أي إن هذا الدرب مستمرٌ وهذا الضياع مستمرٌ وليس له نهاية، ثم يؤكد هذا المعنى بسؤاله: (أين ينتهي؟) أي اذا كنت تقول له نهاية فاخبرني عن نهايته، وهذا الاسلوب شبيه بأسلوب الآية القرآنية ﴿**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾(٣٦)[سورة البلد: ١].

يقول :

على قصر عمر الورد

كنت تحبه

فكنت بأخلاق الحديقة تذبلُ

ثم بعد ذلك يقول:

لماذا اطعت الورد

اول ذابلٍ

وعند اخضرار الورد

خدك اولُ(٣٧)

يشبِّه أباه بالورد وهذا يعطي معانٍ تداولية كثيرة، منها: إنَّ اباه كان عمره قصيراً كعمر الورد، وإنَّه كانت اخلاقه كالورد من الجمال والروعة والرائحة الزكية التي يستمتع الانسان بشمها والنظر إليها والقرب منها، فالشاعر جعل الورد رمزاً لأبيه، ونظراً لأنَّ اباه قد مات سريعاً، وأعتقد أنَّه قد مات فجأة؛ لأنَّه يقول: (لم يمنحك فرصة قبلة)، من هنا يمكن ان نربط هذا القول بعنوان القصيدة وهو ان (الموت لا يستحي)، ويمكن ان تكون دلالة (لم يمنحك فرصة قبلة) أي لم تتمكن من العيش السعيد، والقبلة الشيء السعيد، أي انه مات قبل ان يحقق احلامه بالنظر إلى أبنائه وهم سعداء، فهذه معان تداوليَّة يمكن أن يدلَّ عليها السياق .

وقوله (كنت تحبه) نجد ان السياق التداولي يفرض أنَّ هناك مرسلاً ومستقبلاً ، والشاعر يوجه خطابه إلى ابيه الذي لم يذكره في القصيدة الا في العنوان ، وإن كان سيذكره بعد هذه الابيات، فالعنوان كان له الفضل في معرفة المخاطب، فتكون الإحالة هنا احالة نصيَّة قبليَّة على العنوان، فالعنوان هنا يلعب دوراً مهما ، إذ من دونه تبقى الجمل الشعرية مجهولة المعنى إلى أن يصل القارئ إلى الأبيات التي يذكر فيها الشاعر أباه.

وكذلك في قوله:

وحرمل عيني

فوق جمر افتقاده(٣٨)

فالضمير (الهاء) يعود على ابيه ، ولولا العنوان لم نعرف على من تعود، فالإحالة نصيَّة قبليَّة تعود على العنوان .

يقول:

تسلقت النايات

عمري سكارةً

لأشهق منها

ما فم الناي يسعلُ(٣٩)

يمكن ان نفهم فعلاً غير مباشر، وهو أنَّ الشاعر كان كثير الهموم وأنَّ شَعْرَهُ قد شاب سريعاً من كثرة ما لاقاه من متاعب واحزان، فكما ان السكارة عمرها قصير فكذلك عمر الشاعر وهي رمز ودلالة على الهموم والحزن وقد ذكرها الشاعر للإيحاء بمعان تداوليَّة وأفعال غير مباشرة .

يقول:

فمن عزلة العصفور

حررت قريتي

وما زلت ان غردتُ فيها

أُكبلُ(٤٠)

يتضح أنَّ الشاعر كان في صراع وثورة مع واقع قريته التي يبدو أنَّه كان واقعاً متخلِّفاً ، كان الشاعر في يوم من الايام متلبساً به .

اعلمهم اخطاء جهلي

ليكبروا

على غير اخطائي

وما كنت اجهلُ

فالشاعر يقوم بدور المصلح والموجه والمربي لأبناء قريته ويبدو من خلال السياق أنَّ هذا الواقع هو الواقع الديني بعاداته المتشددة وتقاليده المتطرفة التي يمارسها الناس في قريته جهلاً، يقول:

على نهرها المذبوح

باسم عراقها

يؤجلها فقهٌ

وشيخ مؤجلُ(٤١)

ويتضح أيضاً أنَّ أباه كان شيخاً منفتحاً ومتفهماً ويؤمن بسنَّة التطور ولا يرضى بالتقاليد الموروثة التي لا أصل لها سوى العادة والجهل المفرط ، لذلك يقول:

ابي لم تعد لي

قرية لست شيخها(٤٢)

والضمير في قوله (أُعلمهم) قبل هذين البيتين يعود إلى أهل قريته وهذه إحالة نصيَّة قبليَّة وكذلك قوله: (نهرها) أي نهر قريته، وكذا قوله: (عراقها) فهذه كلها إحالات نصيَّة قبليَّة.

يقول:

فكل عيون النخل والخيل ثكّلُ

ينفتح النص على معانٍ تداولية كثيرة منها: إنَّ الشاعر يعيش في قرية كثيرة النخل والخيل، وإنَّ أباه كان يعتني بهذه النخل والخيل، وعند فقده بكت عليه، ويمكن ان نقرأها على أنَّ أباه كان كريمًا وأنَّه كان يوزع ثمر هذه النخيل على الفقراء والناس المحتاجة وبفقده بكت عليه النخيل ببقاء ثمرها فيها أو لعدم وجود ثمر فيها أصلا؛ لأنَّه لم يعتنِ بها أحد، وكذلك أنَّه كان فارساً يركب الخيل ويمتطيها وبموته بكت الخيل على فارسها.

يقول:

وأحتاج من كفيك

طيبة صفعة

تمرُّ على اوحال نقصي

فأكملُ(٤٣)

المعنى التداولي أنَّ أباه كان قاسيًا وشديدًا ويضرب أبناءه ولكنّ ذلك الضرب من أجل تربيتهم وسدّ ما فيهم من نقص وتوجيه لهم، وأنَّ الشاعر إلى اليوم يحس بنقصه وباحتياجه إلى من يوجهه ويرشده، فقساوة أبيه كانت تربوية.

يقول:

غنيٌ..

بما يعنيه حبلٌ ومعولٌ(٤٤)

هذا الكلام ينفتح على سياق خارجي ويعتمد على معرفة السامع وثقافته، في هذا الكلام اشارة إلى الحديث النبوي المعروف، وذلك عندما وجد الرسول (صلى الله عليه واله) فقيرًا يستعطي الناس ، فأعطاه الرسول حبلاً ومعولاً وقال له: احتطب وبعه في السوق خير لك من ان تستعطي الناس[٤٥]. فالإحالة خارجية تعتمد على المعلومات المشتركة بين المرسل والمستقبل، وكذلك قوله:

ومثل قطاةٍ

تحت ظلك اختبي

فأنت

بطيب الأنبياء تظللُ[٤٦]

فهذا يستدعي معرفة مشتركة مسبقة عن طائر القطا وصفاته وأحواله وكذلك طيب الأنبياء (عليهم السلام) وأخلاقهم، فلو قيل هذا الكلام لشخصٍ لم يسمع بالقطا ولا يعرف شيئًا عن الانبياء أو أنه يعرف عكس واقعهم – كما يحاول الغرب اليوم أن يصورهم – فإنَّه لا يستطيع أنْ يفهم هذا التشبيه ودلالته، فمعرفة المخاطب المسبقة بهذه المعلومات تسهّل فهم البيت.

يقول:

فغضّوا عيون البحر

وامضوا لصيدكم[٤٧]

هنا استعارة مكنية جميلة تنفتح على معنى تداوليّ جميل، وهو أنَّ والده يطلب أن لا يبكوا عليه، وأن يلتفتوا إلى حياتهم وأعمالهم وأرزاقهم، وأنَّه بين يدي رحمن السماوات والأرض، وأنه يعتمد على من يشفع له ويمحو ذنوبه، أي أنَّ أباه كان يؤمن بالشّفاعة، فيقول:

فلي سائلٌ عني

وما كنت أفعل

المرسل والمستقبل:لأجل فهم النص فهمًا دقيقًا، وفهم الحدود اللغوية التي ترد فيه وتأويلها تأويلاً صحيحًا، لا بدّ من معرفة من يتكلم ولمن يُوجَه الخطاب[٤٨]، وعلى الرغم من صعوبة هذا العمل، وخصوصًا في النصوص الشعرية الحديثة التي غالبًا ما تكون بلا متن (نص سائب)[٤٩]، تقول إحدى الباحثات: ((إنَّ صعوبة تحديد متكلم ومتلقٍّ محددين وزمان ومكان معينين تعود إلى أنّ الأدب يخلق عالمًا ممكنًا))[٥٠]، ولكن رغم هذه الصعوبة يمكن تحديد عناصر السياق التي ركز عليها (لينش) التي تُعد حجر الزاوية في عملية التأويل اعتمادًا على النص نفسه، حيث يقول: ((النصوص الأدبية تنشئ مقاماتها التلفظية بوساطة لعبة علاقات داخلية في النص))[٥١].

فالخطاب جهد لغوي وأنّه يفترض ناطقاً (مرسلاً) ومستقبلاً، أو باعثاً ومتلقياً، وان للأول قصداً هو التأثير بطريقة من الطرق[٥٢]. وتهتم التداولية بتحديد المتكلم ومعرفة مع من يتكلم ويوجه خطابه له.

يمكن تقسيم القصيدة إلى اربعة اقسام:

الاول: يبدأ القسم الاول من بداية القصيدة إلى قوله:

(فيا ليت) بابٌ

مثل حظِّيَ مقفلُ[٥٣]

المرسل هو الشاعر والمخاطب مجهول ولا يمكن معرفته بوضوح، فالشاعر لم يحدد إلى من يوجه كلامه، هل هو إلى أبيه كما يدلل عليه العنوان (إلى أبي الذي يستحي)؟ أم إلى القارئ؟

من خلال السياق والأبيات التي في المقطع الاول ومن خلال الجزء الاول من العنوان (الموت لا يستحي) يمكن ان نقول: إنَّ المخاطب هو القارئ، فالشاعر يقدم معلومات، وكل الابيات في المقطع الاول هي جمل خبرية، والعنوان خبري ايضا، والجمل الخبرية وان كانت خاضعة لمعيار الصدق والكذب(٥٤) ، وانها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ بحيث لا يرتهن وجود هذه الحالة بالتلفظ(٥٥) ، إلا ان (اوستن) ينطلق من موقف آخر وهو ان الجمل والعبارات كلَّها مهما كانت طبيعتها قابلة ومعدة للتواصل وانها تسعى لتحقيق شيء وغرض ما(٥٦).

الشاعر هنا وإنْ كان يقدم معلومات عن الموت واحواله ، الا أنَّه يقدم لنا وجهة نظره هو وما يعتقد، أي أنّه يكشف عن داخله وفلسفته في الموت، وهذا ما سوف نقاربه في فقرة لاحقة، فهو يحاول ان يؤثر في القارئ بتقديمه دلالة مختلفة، فهدفه تأثيري واضح.

الثاني: ويبدأ من قوله :

على قصر عمر الورد

كنتَ تحبه(٥٧)

إلى قوله:

فكنتَ الذي

في خصمه يتغزلُ(٥٨)

في هذا القسم يخاطب الشاعر أباه بشكل مباشر بخطاب فيه عتاب وفيه سرد طويل لحال الشاعر وحال أُمه وجدته وما حلّ به بعد فقد ابيه، وهذا يمكن ان ينفتح على بعد تداولي وهو ان الشاعر يعتقد ان الأموات يسمعون ويفهمون الكلام إلا أنَّهم مُنعوا من الكلام، وهذه عقيدة يمكن ان نتلمسها في هذه القصيدة، والملاحظ ايضا انَّ الشاعر لم يطلب الرحمة لأبيه ولم يدعو له بالمغفرة أو السلام أو أي شيء مما هو متعارف عليه في قصائد الرثاء، وهذا ربَّما يكشف عن ثقافة الشاعر وبعده عن الدين والتدين وأنَّه لا يؤمن بهذه الامور وإن كان أبوه يؤمن بها كما سيأتي في القسم الثالث.

الثالث: ويمثله قوله :

فغضوا عيون البحر

وامضوا لصيدكم

فلي سائلٌ عني

وما كنت أفعلُ(٥٩)

في هذا القسم يكون المرسل هو أبو الشاعر والمستقبل هو الشاعر وأهله.

يبدأ القسم بأمر (فغضوا) والأمر فعل كلامي إنجازي، ولتحقيق الامر لابدَّ من أنْ يكون هناك آمر وهو (الأب) ومأمور وهو (الشاعر وأهله) ونسق تحليلي يسمح بتحقيق الأمر وهو الاستسلام للواقع والأخذ من الدنيا والتمتع بها وبرزقها.

الرابع: وهو صوت الشاعر وهو يخاطب أباه مرّة ثانية ويقول له :

اذن لن نرد الباب

خلف نهاية

فإن التي من بعدها

سوف تدخلُ[٦٠]

العبارة الأخيرة تنطوي على بعد تداولي واضح وهو ان بعد هذه النهاية المفترضة أو النهاية غير النهائية وهو الموت في الحياة الدنيا، فإنَّ الإنسان سيدخل في عالم آخر وهو عالم الآخرة، وهنا مسألة مهمة فالشاعر قال (تدخل) ولم يقل(ندخل) كما هي عادته في القصيدة فقد كان يقول: (سنبكي، نحيا، بنا، الينا، تفضحنا،...) اما هنا فهو لم يشرك نفسه والمخاطبين بهذه الكلمة وانما هي موجهة إلى ابيه واعتماداً على عقيدة ابيه باليوم الآخر (فلي سائل عني وما كنت افعل) وكأنَّ الشاعر لا يوافق أباه بهذه العقيدة أو هو غير مهتم بها، أو أنّه يتحدث عمّا هو واقع فعلاً لأبيه الآن، انطلاقًا مما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: ((من مات فقد قامت قيامته))[٦١]، فأبو الشاعر قد دخل فعلاً في الحياة الأُخرى إن كانت (سوف) التي هي للاستقبال تمنع هذا الاحتمال.

مقاربة حجاجية

يمكن ان نقرأ النص من زاوية تداولية حجاجية، والحجاج هو فن الاقناع أو مجموعة التقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع أو الاذعان والتسليم[٦٢]، أو هو جملة من الاساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقناع[٦٣] .

الشاعر يبين وجهة نظره في الموت ويحاول ان يقدم مجموعة من الحجج والبراهين لحمل المتلقي على الاقتناع بها، وهذه الرؤية الفلسفية تبدأ من العنوان (الموت لا يستحي) وفي المقابل (ابي الذي يستحي).

إن المعلومات والحجج التي يقدمها على شكل مقدمات ليصل بها إلى النتائج، فمرّة يقدم النتيجة ويتبعها بالمقدمات التي اوصلته إلى النتيجة. فمن الاسلوب الاول قوله:

تمدُّ الينا الريح

طيش لسانها

فهذه مقدمة استعملها الشاعر من طريق الاستعارة لتكون الحجة أبلغ ثم تأتي النتيجة:

فنحن على طيش المراويح سنبلُ[٦٤]

فالإنسان تعبث به الدنيا وهو لا يملك شيئًا لمقاومتها، ولا يمكن له ذلك، فهو كالسنابل التي تعبث بها الرياح يمينًا ويسارًا واعوجاجًا وانكسارًا، ثم يحاول الشاعر أن يأتي بحجة يقدمها على شكل جواب لسؤال (لماذا ابتدأنا) وحال النهاية المعروفة أن الانسان كالشمعة التي تحترق، والعمر ما هو إلّا بكاء يتوسل، أو أنَّ الانسان عندما يموت تُوضع على قبره شمعة، فنهاية الانسان تكون شمعة، فكأنّ الطريق مرسوم للإنسان وواضح، يبدأ من نقطة ليصل إلى أُخرى من دون أن يكون هناك اختلاف أو شذوذ عن هذه القاعدة:

لماذا ابتدأنا

والنهاية شمعةٌ

وخيط سنينٍ

دمعه يتوسلُ(٦٥)

ثم تأتي النتيجة اقوى وهي أنَّ هذا العمر (ضياعٌ)، وهذه النتيجة تُضمر أنَّ الحياة (عبث) كما يرى الشاعر، ويمضي الشاعر بسرد الحجج التي يريد من ورائها إقناع المخاطب بأنَّ الحياة لا قيمة لها.

والشاعر يطرح اسئلته الفلسفية (لماذا ابتدأنا) ،(أين ينتهي الدرب)، وهو لا يريد جوابًا، وإنَّما هو يقدم معلومات بوصفها حججاً. فالجواب الأول: كان ضياعاً، والجواب الثاني: كان الدرب مبللاً، أي: محفوف بالمخاطر والبكاء على الإنسان بعد انقضاء مدّة حياته، يقول:

ضياعٌ

وهذا الدرب

لا اين ينتهي

بكل افتراءات الوصول

مبلَّلُ(٦٦)

ويمكن أن يكون قوله (ضياعٌ) جوابًا عن سؤال مضمر يمكن أن يكون (ما الحياة؟)، أو (ما العمر؟)، فيأتي الجواب (ضياعٌ)، وقوله (لا) جواب عن سؤال مضمر كما قلنا، ويكون هذا السؤال والجواب مقدمات للنتيجة التي هي (مبلل)، أي أن النتيجة التي سيخرج بها الإنسان هو بكاء أهله عليه.

ومثل ذلك قوله:

وتفضحنا بين المطالع

شمسنا

اطاعت لسان الليل

والفجر حنظلُ(٦٧)

فهذه حجة أخرى على أن الحياة صعبة ومُرّة وقاسية ولا طعم حلو لها؛ لأنّ الفجر ليس بأحسن من الليل. وهكذا يستمر الشاعر بإنجاز فعل الاقناع من خلال الحجج التي يسوقها بحسب فلسفته للحياة؛ لأنّ ((الحجاج ليس وسيلة إبلاغية فقط، ولكن له غاية هامة (كذا) وهي التأثير في الآخرين وحملهم على الاقتناع برأي ما مدعم بالحجج))(٦٨)

فتدرج هذه المعلومات في ضمن التداولية الحجاجية التي يريد من خلالها الشاعر انجاز فعل الاقناع بعبثية الحياة وهو يستند إلى معلومات ونتائج، فالريح طائشة تلتهمنا بلسانها وهذه مقدمة والنتيجة اننا سنبل تذرونا الرياح، وفي سؤال (لماذا ابتدأنا) جاء بمقدمة وهي ان العمر يحترق والنتيجة ضياع، وفي سؤاله (اين ينتهي الدرب) جاء بمقدمة وهي الشك في امكانية الوصول واما النتيجة فالدرب مبلل، وفي قوله (تفضحنا) جاء بمقدمة ان الشمس اشرقت والنتيجة ان الفجر حنظل.

وتستمر القصيدة بعرض الحجج، وقد تأتي النتيجة اولاً ثم تأتي المقدمات ، كما في قوله:

وتشقى..

لان الامنيات محطةٌ

على غير معنى الراحلين

تؤوَّلُ(٦٩)

فقوله (تشقى) نتيجة والتعليل بعدها مقدمة، فالأُمنيات محطة لا تلبث أن ترحل من دون أن تُحقَّق، ويبقى الإنسان في الشقاء . وكذلك قوله:

وجودك ذاتي

واهتداء حقيقتي

اذا ما اهتدى

في هدم ذاتي معولُ(٧٠)

فالشطر الاول نتيجة والشطر الثاني مقدمة.

ويأتي مرّة بمقدمتين والنتيجة تكون مضمرة، كما في قوله:

وامي..

تردُّ الليل عنها بدمعة

فقربك ما تخشى من الليل اجمل(٧١)

فالشطر الاول مقدمة اولى والشطر الثاني مقدمة ثانية والنتيجة مضمرة وهي (رحيل الاب)

وقد يأتي بمقدمتين ونتيجتين، يقول:

فكم غردت

في ليل يأسيَ دمعةٌ

وما صحح الفجر الملفق

بلبلُ

ولا نجمة

رفَّت على باب وحشتي

لتشرح أسباب المسافة أرجلُ(٧٢)

فالشطر الاول من البيت الاول مقدمة والشطر الثاني نتيجة اولى والبيت الثاني مقدمة ونتيجة ثانية.

وقد تأتي النتيجة على شكل سؤال استنكاري، أي هو لا يريد جوابًا للسؤال، بل هو يقدم نتيجة لإقناع المتلقي بما يريد أن يوصل من رسالة، يقول:

وبين سخام الكوخ

والليل حائرٌ صباحك

في أي المساءين يغسلُ(٧٣)

فقوله (صباحك في أي المساءين يغسل) سؤال استنكاري أي ان الصباح لا يغسل أي من المساءين، وبالتالي هذه نتيجة ومعلومة لا سؤال.

وتستمر القصيدة بالمقدمات والنتائج إلى ان تصل إلى نتيجتين نهائيتين، وهي قوله:

فغضوا عيون البحر

وامضوا لصيدكم

فلي سائلٌ عني

وما كنت افعل

وهذه النتيجة الاولى، والثانية قوله:

إذن لن نرد الباب خلف نهاية

فإن التي من بعده سوف تدخلُ(٧٤)

هذا ما اراد ان يوصله الشاعر إلى المتلقي واقناعه بفلسفته في الموت والحياة من خلال تكثيف الأدلة والبراهين والأفعال التأثيرية، فالقصيدة برمتها قائمة على الحجاج ، فهي عبارة عن مقدمات فرعية ونتائج فرعية تنتهي بالنتيجة الكبرى التي هي بمثابة موعظة من الأب الراحل لأبنائه ورؤية فلسفية من الشاعر تجاه الموت والحياة.

الخاتمة والنتائج

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث، هي:

١- التأكيد على أن التداوليّة تبحث في كيفيّة اكتساب السامع مقاصد المتكلّم، والإعانة في الكشف عن هذه الأساليب والصيغ التي يمكن للسامع أن يلتقط فيها المعنى المراد.

٢- التأكيد على أن اللغة ليست وظيفتها إيصال المعاني إلى المتلقي فقط، بل هي إنجاز لأفعال كثيرة ضمن مقامات معينة تحف بهذا النص أو ذاك.

٣- الأفعال الإنجازية غير المباشرة تخالف قوتها الإنجازيّة قصد المتكلم، ويكون الفعل الإنجازي على نحوٍ غير مباشر، بخلاف الفعل الإنجازي المباشر الذي تتطابق قوته الإنجازية المعنى الحرفي الذي يقصده المتكلم.

٤-تطبيق التداوليّة على النصوص الأدبية يكون أكثر ثراءً وخصبًا من النصوص الأخرى؛ لأنّ الأدب فيه دلالاتٌ كثيرةٌ، وينفتح على سياقات اجتماعية ونفسية متعددة، وقابل لقراءات مختلفة تصل إلى حدّ التناقض في بعض الأحيان إذا لم يُعرف السياق الذي يرد فيه بصورة دقيقة ومعرفة أحوال الشاعر والمتلقي، فدلالات النص الأدبي غير مستقرة تمامًا، واللغة الشعرية لها منطقها الخاص الذي تفرضه على الجميع.

٥-عنوان القصيدة خصبٌ، ويكشف عن رؤية فلسفية للشاعر، فالعنوان عتبةٌ مهمة للنص، وهو نص موازٍ لنص القصيدة، فهو يختزل فكرة القصيدة من خلال أقوال مضمرة متعددة يمكن للقارئ أن يلاحظها في النص.

٦-حدّد الباحثان المرسل والمستقبل في القصيدة، وقسمنا القصيدة على أربعة أقسام، تراوح المرسل فيها بين الشاعر ثلاث مرّات ووالده مرّة واحدة، والمستقبل القارئ مرّة، ووالد الشاعر مرّتين والشاعر نفسه مرّة واحدة. وتحديد المرسل والمستقبل مهمٌ جدًا في عملية تأويل النص وفهم حدوده اللغوية، وفهم عملية التأثير والتأثر بين المرسل والمستقبل.

٧- كشف البحث عن جهدٍ حِجاجِيٍّ واضحٍ في القصيدة، حاول فيه الشاعر إقناع المتلقي بفلسفته عن الحياة والموت، ومحاولة إقناع المتلقي بها، أو زيادة حجم هذا الإقناع من خلال جملة من الأساليب والحجج كشف عنها البحث.

نص القصيدة

الموت لا يستحي

إلى أبي الذي يستحي

سنبكي وتفضحنا بين المطالع هو الموت
ونحيا كي نموت شمسنا لم يمنحك فرصة قبلة
ونسألُ أطاعت لسانَ الليلِ فكان وداعاً
وسوف يرانا الدربُ وهماً والفجرُ حنظلُ والرمال تقبّلُ
ونقبلُ وحين تبادلنا وأمي..
ويعبث فينا – كالسنابل – على جسر موتنا تردُّ الليل عنها بدمعة
حاصدٌ عرفت لماذا الجسر لا يتبدّلُ فقربك
فيشقَى بنا كفٌ وعدتُ ليأسي ما تخشى من الليل أجمل
ليرتاح منجلُ كي أُرتّب حسرتي وانزلت أسماء الشبابيك
تمدُّ إلينا الريحُ (فيا ليت) بابٌ باسْمنا
طيشَ لسانها مثل حظِّيَ مقفلُ وما عاد فينا
فنحن على طيشِ المراويحِ سنبلُ على قصر عمر الورد للشبابيك منزلُ
لماذا ابتدأنا كنت تحبه ففي كل أمسٍ
والنهايةُ شمعةٌ فكنت بأخلاق الحديقة تذبلُ من عناء طفولتي
وخيطُ سنينٍ وتشقى.. أنا اليوم كهلٌ
دمعه يتوسّلُ لأن الأمنيات محطةٌ بالذي أتحملُ
ضياعٌ على غير معنى الراحلين وحرمل عيني فوق جمر افتقاده
وهذا الدرب تؤوّلُ لعل يعيد الراح
لا أين ينتهي لماذا أطعت الورد جمرٌ وحرملٌ
بكل افتراءات الوصول أول ذابلٍ وجودك ذاتي
مبلّلُ وعند اخضرار الورد واهتداء حقيقتي
خدك أولُ إذا ما اهتدى

في هدم ذاتي معولُ ويملأُ عين الدار المساء نجومه
ومثل قطاةٍ دمع انتظارنا وما خبأ التحديق
تحت ظلك أختبي على لقمةٍ في الغيب في العين منخلُ
فأنت واليأس يأكلُ فمن عزلة العصفور
بطيب الأنبياء تظللُ كعين يتيم حررت قريتي

غسلت بإغواء السحاب
نوافذي
لعل بريداً
من سمائك يهطلُ
فكم غرَّدت
في ليل يأسيَ دمعةٌ
وما صحح الفجر الملفق
بلبلُ
ولا نجمة
رفَّت على باب وحشتي
لتشرح أسباب المسافة أرجلُ
صلبت احتمالاتي
على ذيل سعفةٍ
لأرعى عراقاً
كلما اخضرّ يهملُ
سقيت مزاج النهر
لطف حمامةٍ
فكل الذي من حوله اليوم
يهدلُ

حين ترجع خالياً
وحسرتنا
في ليلة العيد تقتلُ
نريق إذا غادرت
خلفك دمعةً
إذا عدت عادت
لا تنام وتعذلُ
تطوف على الكوخ المريد
عيوننا
على جدة بيضاء
في الركن تغزلُ
وبين سخام الكوخ
والليل حائرٌ صباحك
في أي المساءين يغسلُ
تسلَّقَتِ النايات
عمري سكارةً
لأشهق منها
ما فم الناي يسعلُ
وينخل في عيني،

وما زلت إن غردتُ فيها
أُكبلُ
أعلمهم أخطاء جهلي
ليكبروا
على غير أخطائي
وما كنت أجهلُ
على نهرها المذبوح
باسم عراقها
يؤجلها فقهٌ
وشيخ مؤجلُ
أبي لم تعد لي
قرية لست شيخها
فكل عيون النخل
والخيل ثُكّلُ
أكمِّم أعدادي
لأفهم باذلاً
بما ازداد
من شح الوسيلة يبذلُ
وأحتاج من كفيك

طيبة صفعة
تمرُّ على أوحال نقصي
فأكملُ
أدلل في عينيَّ
خيط احمرارها
فإني
بما خطَّته فيَّ مدللُ
غنيٌ..
بما يعنيه حبلٌ ومعولُ
سخيٌ إذا أعطيت
تنسى وتخجلُ

فكنت الذي
في خصمه يتغزلُ
فغضُّوا عيون البحر
وامضوا لصيدكم
فلي سائلٌ عني
وما كنت أفعلُ
إذن لن نرد الباب
خلف نهاية
فإن التي من بعدها
سوف تدخلُ

وتقرؤك الأوتار
في صمت شاعرٍ
ليؤمن بالإصغاء
عودٌ وأنملُ
وقلت إذا
ما زرت قبري فغنِّ لي
فياسين
لحنٌ للرمال مرتلُ
أبي كلُّ شيءٍ
مثلما قلت كذبةٌ
إذا ميَّز الأسماءَ
تبرٌ وخردلُ
ظننت بأن الموت
مثلك يستحي

الهوامش

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢١ ، ونظرية العلامات عند جماعة فينا: ٣٠٧، والسيمياء وفلسفة اللغة: ٤٥٥.

(٢) ينظر: التداولية في الفكر النقدي: ٣ (أطروحة)وينظر مصدره هناك.

(٣) ينظر: المقاربة التداولية، فرانسوا أرمينكو: ٨٠.

(٤) ينظر: الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبوية، مقبول إدريس، عالم الكتب الحديث، عمان، ٢٠٨٨م : ٢٦٤.

(٥) ينظر: دليل الناقد الادبي : ١٦٧ .

(٦) ينظر: التداولية في الفكر النقدي: ٣ (اطروحة)، وينظر: مجلة الاقلام عدد:٥ : ٣٠ – ٣٢ .

(٧) ينظر: دليل الناقد الادبي : ١٦٩ .

(٨) ينظر: التداولية: ٢٣ .

(٩) ينظر: دليل الناقد الادبي : ١٦٩ .

(١٠) وُصِفَت التداولية بانها سلَّة مهملات النحو. ينظر: شظايا لسانية ، د. مجيد الماشطة: ٥٦.

(١١) ينظر: البحث اللساني والسيميائي : ٢٩٩ .

(١٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ١٤.

(١٣) مدخل إلى علم النص: ٤٩ .

(١٤) ينظر: الفلسفة واللغة: ١٠٧-١٠٨ ، وينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٢٦٧ .

(١٥) ينظر: التداولية عند العرب: ١٠-١١.

(١٦) ينظر: التداولية اليوم : ٣٢ ، والتداولية من اوستن إلى غوفمان : ٥٢ .

(١٧) ينظر: المقاربة التداولية : ٧١ .

(١٨) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ٢٢.

(١٩) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي: ١٦٤ ، ومدخل إلى علم الدلالة: ٢٤٥ .

(٢٠) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي : ١٠١ .

(٢١) التداولية اليوم : ٢٦٨ .

(٢٢) الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٣٩ ، وينظر مصدره هناك .

(٢٣) المقاربة التداولية : ٧٢ .

(٢٤) ينظر: النظرية الادبية : ٣٦ .

(٢٥) ينظر: محاولة في مقاربة تداولية: ٧٤ (بحث).

(٢٦) اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث: ٤٦٠ .

(٢٧) تحليل الخطاب الشعري: ١٤٧.

(٢٨) ينظر: محاولة في مقاربة تداولية قراءة في قصيدة (من أوراق أبو نؤاس) لأمل دنقل: ٧٤.

(٢٩) ينظر: محاولة في مقاربة تداولية : ٧٤ (بحث).

(*) الشاعر نجاح العرسان من مواليد ١٩٧٠م، ولد في محافظة كربلاء، درس الفيزياء في الجامعة المستنصرية، صدرت له مجموعتان شعريتان، يعقوب الحزن الأخير و فرصة للثلج التي صدرت بعد مشاركته في مسابقة أمير الشعراء.

(٣٠) مبدأ التعاون: من المبادئ التي توصل اليها غرايس، ويقضي مبدأ التعاون على تعاون اطراف العملية التواصلية، فالمتكلم يراعي في خطابه المخاطب لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا، ويفترض من المخاطب ان يبدي تعاونا يتمثل في الاصغاء والانتباه والتركيز وغيرها. ينظر: النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، د. صلاح اسماعيل، حوليات الآداب والعلوم مجلس البحث العلمي ، : ٨٧ .

(٣١) فرصة للثلج : ٥ .

(٣٢) فرصة للثلج : ٦ .

(٣٣) فرصة للثلج : ٦ .

(٣٤) في اتصال هاتفي مع الشاعر اخبرني ان اخاه يعقوب استشهد في الحرب العراقية الايرانية ، وان اباه مات في عام ٢٠٠٣ .

(٣٥) ينظر: فرصة للثلج : ١٩ .

(٣٦) ينظر: تفسير الهداية في بلوغ النهاية: ٨٢٧١/١٢، وتفسير ابن عطية: ٤٨٣/٥، وتفسير القرطبي: ٦/٢٠.

(٣٧) فرصة للثلج : ٧-٨ .

(٣٨) فرصة للثلج : ٩ .

(٣٩) فرصة للثلج ١٣ .

(٤٠) فرصة للثلج : ١٤ .

(٤١) فرصة للثلج : ١٤ – ١٥ .

(٤٢) فرصة للثلج : ١٥ .

(٤٣) فرصة للثلج : ١٥ – ١٦ .

(٤٤) فرصة للثلج : ١٦ .

(٤٥) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦/٢٧٣-٢٧٤.

(٤٦) فرصة للثلج : ١٠ .

(٤٧) فرصة للثلج : ١٨ .

(٤٨) ينظر: لسانيات النص: ٢٩٧.

(٤٩) ينظر: سؤال التداولية، ندوة الأديب: ١٩.

(٥٠) التداولية منهج لسانيّ واستراتيجية لتحليل الخطاب: ٦ (بحث).

(٥١) لسانيات النص: ٣٠٦، وينظر مصدره هناك.

(٥٢) ينظر: الخطاب القرآني ، دراسة في البعد التداولي : ١٠ .

(٥٣) فرصة للثلج : ٧ .

(٥٤) ينظر: البلاغة والتطبيق: ١٠٢ – ١٠٤، والأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٣ .

(٥٥) ينظر: التداولية اليوم : ٢٧٢ .

(٥٦) ينظر: فلسفة التواصل: ١٢ .

(٥٧) فرصة للثلج : ٧ .

(٥٨) فرصة للثلج : ١٧ .

(٥٩) فرصة للثلج : ١٨ .

(٦٠) فرصة للثلج : ١٨ .

(٦١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٢/٥١٥.

(٦٢) ينظر: دراسات في الحجاج، د. سامية الحسيني، : ١٤ وينظر مصدرها هناك .

(٦٣) المصدر نفسه : ١٤ .

(٦٤) فرصة للثلج : ٦ .

(٦٥) فرصة للثلج : ٦ .

(٦٦) فرصة للثلج : ٦ .

(٦٧) فرصة للثلج : ٦-٧ .

(٦٨) التداولية مهنج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب: ٧ (بحث)

(٦٩) فرصة للثلج : ٨ .

(٧٠) فرصة للثلج : ١٠ .

(٧١) فرصة للثلج : ٨-٩ .

(٧٢) فرصة للثلج : ١١ .

(٧٣) فرصة للثلج : ١٣ .

(٧٤) فرصة للثلج : ١٨ .

المصادر

القرآن الكريم.

آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، د.ط، مصر، ٢٠٠٢م.

اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث،دسامي عبابنة، عالم الكتب، اربد ، ط١،عمان ، ٢٠٠٤م .

الاساليب الانشائية في النحو العربي، د عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٨١م .

استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.

الأُسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبوية،مقبول إدريس، عالم الكتب الحديث،د.ط،عمان، ٢٠٠٨م.

البحث اللساني والسيميائي، مجموعة باحثين، ندوة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس، ١٩٨١م .

البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب، و د. كامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، بغداد ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

تحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط٤، بيروت، ٢٠٠٥م.

تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر لخير، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر ، ٢٠٠٣م .

التداولية، فرناند هالين، تر: زياد عز الدين العوف ، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب ، ع ١٢٥ ، س ٣١ ، دمشق ، ٢٠٠٦م .

التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

التداولية في الفكر النقدي، د كاظم جاسم العزاوي، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، سنة ٢٠١٢م .

التداولية من اوستن إلى غوفمان، تر: صابر حباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، سعد بولنوار، المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بحث من شبكة الانترنت.

التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، تر: د سيف الدين دغفوس و د محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة ، ط١ ، بيروت، ٢٠٠٣م .

تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية،ط١، القاهرة، ١٩٦٤م.

الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د مؤيد آل صوينت ، مكتبة الحضارات، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .

دراسات في الحجاج، د سامية الحسني، عالم الكتب العربية، السعودية، ط١ ، ١٩٩٥م .

دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط٥ ، ٢٠٠٧م .

السيمياء وفلسفة اللغة، أمبرتو أيكو، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

شظايا لسانية، د مجيد الماشطة، مطبعة السلام، البصرة، ط١، ٢٠٠٧م .

فرصة للثلج،شعر نجاح العرسان،هيئة ابو ظبي للثقافات والتراث،سلسلة دواوين الشعراء٦،ابو ظبي،ط٢٠١٢،١م .

الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة،د.الزواوي بغوره، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م .

محاولة في مقاربة تداولية– قراءة في قصيدة من اوراق ابي نؤاس لأمل دنقل، عبد الستار جبر، مجلة الاقلام،ع٥، س ٤٣ ، دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠٨م .

مدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر ، تر: د خالد محمود ، دار العروبة، الكويت، ط١ ، ١٩٩٧م .

مدخل إلى علم النص، زتسيسلاف واورنياك، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار ، مصر ، ط٢، ٢٠١٠م .

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت:١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط٣، ١٩٨٤ م.

المقاربة التداولية، فرانسوا ارمينكو، تر: سعيد علوش ، مركز الانماء القومي ، الرباط ، ١٩٨٦م .

النظرية الادبية، جوناثان كالر، تر: رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م .

نظرية العلامات عند جماعة فيّنا، د. محمد عبد الرحمن جابري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ليبيا، ٢٠١٠م.

النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، د. صلاح اسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٥، ٢٠٠٥م .

الهداية في بلوغ النهاية: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت:٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، ط١، ٢٠٠٨ م.

اتصال هاتفي مع الشاعر نجاح العرسان بتاريخ ١٣ / ٥ / ٢٠١٣ .